

رسالة في "أبحاث متعلقة بإنا أنزلناه" لعبد الله الثيروي

تحقيق وتقديم

A letter "research about 'innā 'anzalnāhu" by 'abdullāh Al-Thīrawi

Introducing and editing

عبد الوهاب بافلح*

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية- وحدة ورقلة (الجزائر)

a.baflah@crstdla.dz

تاريخ النشر: 2026/02/09

تاريخ القبول: 2026/02/18

تاريخ الارسال: 2025/08/29

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى تقديم وتحقيق رسالة بعنوان "أبحاث متعلقة بإنا أنزلناه" منسوبة لعبد الله الثيروي. وللرسالة نسختان الأولى في مجموع محفوظ بمكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة ضمن مجموعة روبرت قاريت، برقم: 5511. والثانية محفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم 2779 (9) وهي غير تامة. وتكمن أهمية الرسالة في كاتنها وموضوعها، فالكاتب ليس مؤلفا معروفا، وليس له ترجمة وافية في كتب التراجم، ومؤلفاته غير منشورة، والرسالة أيضا غير محققة ولا منشورة، وهي في موضوع يجمع عدة فنون (اللغة والشريعة والمنطق). ومشكلة الدراسة في الأساس هي الحصول على النص الأصلي للرسالة أو النص القريب منه. ومن أهداف الدراسة: التعريف بالمؤلف، وجمع نسخ رسالة "أبحاث متعلقة بإنا أنزلناه"، وتحقيق نصّها. واعتمد المقال لذلك قواعد تحقيق المخطوطات؛ فقدّمْتُ تعريفاً بالمؤلف، وذكرت مؤلفاته، رغم أنّي لم أقف على من أفردته بترجمة خاصّة في كتب التراجم. ثمّ وصفت مخطوطي الرسالة مبينا الفرق بينهما لتحديد النسخة المعتمدة في إثبات النصّ، كما أثبتت نسبة الرسالة إلى المؤلّف من خلال الوثائق التي وقفت عليها، وشرحت موضوع الرسالة، وبيّنت أسلوب مؤلّفها، ومصادره التي اعتمد عليها. ومن نتائج الدراسة التعريف بالمؤلف المغمور عبد الله الثيروي، وتحقيق نصّ رسالته حول أبحاث متعلقة بإنا أنزلناه، والوقوف على عنوان مؤلّف له لم يذكر في ترجمته.

* المؤلف المرسل

ويوصي المقال بضرورة الاعتناء بالتراث العربي المحفوظ في الخزائن العالمية، وبضرورة تحقيق الأعمال الأخرى للمؤلف لتتضح الصورة عن فكره وآرائه.

الكلمات المفتاحية: إنا أنزلناه؛ مخطوط الثيروي؛ مكتبة جامعة برنستون؛ رسالة.

Abstract:

In this article, we aim to introduce and edit a letter titled: "research about 'innā 'anzalnāhu" by 'abdullāh Al-Thīrawi. The letter has two copies; the first preserved at the Princeton University Library in the United States within the collection of Robert Garrett, No. 5511, and the second (acephalous) preserved in Al-Mahmoudia Library at Al-Madina Al-Mounawara, No. 2779(9).

The importance of Arrissala due to the author and subject. The author is not a well known and his works are unpublished, and the Arrissala is neither edited nor published. It is on a subject that combines several arts (language, Sharia, and logic). The problematic in the article is obtaining the original text of the Arrissala or the text close to it. The objectives of the study include introducing the author, collecting copies of Arrissala "Research Related to We sent it down" and editing its text.

I adopted the manuscript editing rules so provided a biography of the author and mentioned his scientific works. Even though I did not find anyone, give him a special biography in the biographies book. Then I described the two-letter manuscripts indicating the difference between them to determine the certified copy for editing text. I Prove that the letter is by 'abdullāh Al-Thīrawi using the presented document. Then I explained the subject of the letter, the author's style, and the sources on which he relied.

By result: the article shows an obscure author biography Abdullāh Al-Thīrawi, an editing text of "research about 'innā 'anzalnāhu" q new book not mentioned in his biography. The article insists that to take care of the Arabic heritage preserved in the international library, the author's other works should be edited and published in order to get a clearer look of his thoughts and opinions.

Keyword: editing; letter; Princeton University Library; manuscript; Al-Thīrawi; Al-Mahmoudia Library

1. مقدمة:

تحتفظ مكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية بمجموع برقم 5511-465 ضمن مجموعة يهودا. ومن ضمن المجموع رسالة بعنوان: "أبحاث متعلقة بإنزالنا" منسوبة لعبد الله الثيروي. وقد تم ذكر هذه النسخة في الفهرس الشامل للتراث (آل البيت، 806/2)، ولم يشر إلى نسخة أخرى، ونقل عنه صاحب فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم نفس معلومات النسخة (مركز الدراسات القرآنية، 9/1). وقد وقفت على نسخة محفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم 2779(9). وعلى هاتين النسختين قمت بتحقيق نصّ الرسالة في هذا المقال.

وتكمن أهمية هذه المقالة في نصّ الرسالة وموضوعها الطّريف إضافة إلى أنها لم تحقق ولم تنشر من قبل. وأيضا في شخصية المؤلف المغمورة التي لم تذكر كثيرا في كتب التراجم. أما موضوع الرسالة فهو أبحاث حول قوله تعالى: "إنّا أنزلناه" [سورة القدر: 1] جمع فيها المؤلف أبحاثا، ووظف معارف من اللغة والشريعة والمنطق. وسيكون تحقيق الرسالة إخراجا لعمل جديد يعرف بالمؤلف وبآرائه، وهذا المقال حلقة في سلسلة تحقيق مؤلفاته التي لم يسبق أن نشرت.

أمّا إشكال الدراسة فيتجلّى في وجود فراغ معرفي يتمثّل في كون رسالة "أبحاث متعلقة بإنزالنا" لا تزال في حكم النصّ غير المحقّق، وبهذا تكون مادّتها العلمية غير ميسّرة للباحثين على نحو يليق بأهميتها. ومن هذا فالمقال يجيب على أسئلة من أهمّها: ما صورة نصّ الرسالة في أقدم أصولها المخطوطة المتاحة؟ وما أبرز الفروق النصّية بين هذه الأصول، وما مدى تأثيرها في تثبيت نصّ أقرب ما يكون إلى الصواب؟

وتفترض المقالة أن تقف على نصّ جديد يضيف إلى حقل الدراسات البيئية لبنة جديدة، كما أنه يضيء جانبا من شخصية المؤلف وفكره وآرائه، ويسفر عن طبيعة الموضوعات المطروقة في زمانه.

وأهداف المقالة واضحة مما قدّم سابقاً ويمكن جمعها في النقاط الآتية:

- تعريف المؤلّف، اعتماداً على مختلف الوثائق التي وقفت عليها.
- بيان موضوع الرّسالة وأسلوبها.
- بيان مصادر الرّسالة.
- إخراج نصّ المخطوطة للقراء على الهيئة التي كتبها بها صاحبها.

ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدت المقالة على قواعد تحقيق المخطوطات بداية بجمع نسخ الرّسالة، والمقارنة بينها لتحديد الأصل أو الأولى بالتّقديم، ثمّ نسخ النص وتحديد الفروق، ثمّ تفقيره وتخرّيج نصوصه القرآنية والحديثية والأشعار وغير ذلك. إضافة إلى التعريف بالمؤلّف وبيان آثاره المطبوع منها والمخطوط. ووقفت المقالة على نسختين من الرّسالة، وقدمت تحقيقا لنصّها، وبيّنت موضوعها ومصادرها وأهميتها، وقدمت تعريفاً بالمؤلّف، وأضافت عنواناً جديداً إلى لائحة مؤلّفاته غير المنشورة.

2. التعريف بالمؤلف:

تمّ ذكر اسم المؤلّف في النّسختين بـ السيّد عبد الله الثيروي، وزاد في نسخة المجموع برقم 5511: هذه الرّسالة لأستاذنا المحقّق عبد الله أفندي¹ الثيروي المشهور بكاتب زاده.

وفي الفهرس الشّامل للتراث المخطوط الذي فهرس لنفسه المجموع قال: هو عبد الله بن محمد كاتب زاده الثيروي، ونسب إليه الرسالة قيد التّحقيق. كما نسب إليه أعمالاً أخرى مخطوطة هي:²

- رسالة في إعراب "وعملوا الصّالحات" محفوظ بمكتبة برنستون جاريت يهودا (40-2621-440) (11ب-13أ). و 40 (5511-2) (440-96ب-99أ) بنفس مجموعة جاريت يهودا.
- حاشية على "جزء عم" من تفسير البيضاوي، محفوظ بمكتبة برنستون مجموعة يهودا 35 (3397-379) (130و).

ووقفت في الرّسالة المقصودة بالتّحقيق على مصنّف آخر نسبته لنفسه وهو: شرح على طوابع الأنوار من مطالع الأنظار³، لناصر الدين البيضاوي، صاحب التّفسير المعروف. أمّا نسبة (الثيروي، أو الثيروي، أو التروي) فهي نسبة إلى مدينة تركيّة أو فارسيّة. وترد بأسماء متشابهة وهي: "تيره Tiré أو تيرا Tyra أو تير Tire، تقع في الأناضول، في ولاية ولواء آيدين" (المعجم الجغرافي للأمبراطورية العثمانية، ص223).

وقد تكون مدينة فارسية قال الحموي: "تيرا: مقصور: نهر تيرا من نواحي الأهواز، ونذكره في نهر تيرا إن شاء الله تعالى، فتحت في سنة ثمان عشرة... وإليها فيما أحسب ينسب الأديب أبو الحسن عليّ بن الحسين الثيروي" (معجم البلدان، 2/66).

وممّن يحمل هذه النسبة مع من ذكره ياقوت الحموي، مرتبين حسب الوفاة:

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو حامد الطوسي التروي، ت: 567هـ (تاريخ مدينة دمشق، 204/55).

¹ أفندي: جمع أفنديّة: سيّد، وهي كلمة تركيّة كانت تُستعمل لقب اعتبار لأصحاب الوظائف المدنيّة والدينيّة ورجال الشريعة والعلماء، شاعت في مصر منذ حكم الأتراك ثم ألغيت. معجم اللغة العربية المعاصرة (أفندي).

² الفهرس الشامل، 2/806.

³ أبحاث متعلقة بإننا أنزلناه [و].

ابن القصاع مصلح الدين مصطفى بن محي الدين محمد بن اسماعيل التروي الشهير بابن القصاع المتوفى سنة 654هـ. (هدية العارفين، 2/432).

رمضان بن محمد بن سلمان التيروي (كان حيا 965 هـ) (معجم المؤلفين، 4/172)
إبراهيم بن حمزة بن مسعود، تاج الدين التيروي، الأدرنوي ت: نحو 970هـ. (الأعلام، 37/1).

مصلح الدين مصطفى بن محمد، الشهير ببستان الثيروي [تيره وي] ت: 977هـ (سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، 3/337).

مصطفى بن محمد بن إسماعيل التيروي الأيديني، ت: بعد 970هـ. (الأعلام، 7/240).
المولى محمد الثيروي المعروف بعيثي، ت: 1016هـ (البدور المضية في تراجم الحنفية، 203/2).

ولم أقف على من تتطابق معه المعلومات الواردة في الفهرس الشامل، ولا في مخطوطي الرسالة، وأغلب الظن أنه من بلاد الترك، نظرا إلى لقب أفندي المذكور، ولنسبته إلى مدينة تيرا من ولاية أيدين.

3. وصف مخطوطي الرسالة:

1.3 النسخة "أ":

محفوظة بمكتبة جامعة برنستون، اخترتها أصلا لتمامها. جاءت الرسالة في بداية مجموع برقم 465-5511 به 118 ورقة، بأبعاد: 222*125، وكتبت الرسالة بين 3 و4و. وقد عنون المجموع في المكتبة بمفتاح باب الموجهات، ولم أقف على هذه الرسالة في المجموع.

غلاف المجموع ذو لون بني، له لسان خارج للتعليم، ودون على حاشيته المرقمة: مجموع رسائل الامتحان، وهي من أواخر رسائل المجموع البالغ عددها 30 رسالة. وعلى ظهر الغلاف كتب: كتبت ما في هذا الكتاب من الرسائل المفيدة فله الحمد والمنة. وأنا الفقير الحقير أحمد بن محمد الأودمشي عفا الله عنهما وعن جميع المسلمين.

ناسخ المجموع كما دَوّن في بدايته هو: أحمد بن محمّد الأودمشي. ولم يذكر سنة نسخ الرّسالة، ولكن في نهاية إحدى الرّسائل ضمن المجموع ذكر أنّه تمّ نسخها سنة 1253هـ، ونعتمد هذا التّاريخ لنسخ الرّسالة، لتتابع الرّسائل ضمن المجموع. وهي سنة قريبة من سنة وفاة المؤلّف 1249هـ.

كُتبت النسخة باستعمال اللّون البنيّ بخط نستعليق، وهو خطّ سليم وواضح، وليس فيه تداخل بين الكلمات، ومع سرعة النسخ جعلته يخلو من اللمسة الفنية، فأخذت بعض الحروف رسماً كالسّين والهاء في آخر الكلمة. والنسخة مصحّحة ومُقابلة لوجود تصحيحات و تهميشات وإن كانت قليلة، وتخلو من الأخطاء والتّصحيفات مع بعض التّشطيبات القليلة ممّا يدلّ على نجابة النّاسخ. وفي الأخير كتب النّاسخ: تمّت الرّسالة بعونه تعالى.

2.3 النسخة "ب":

محفوظة بالمكتبة المحموديّة بالمدينة المنورة برقم 2779(9) وهي غير تامّة (مبتورة الوسط والآخر)، تحتوي على ورقتين (ثلاث صفحات) مكتوبة بخطّ الرّقعة، وتمتاز بالوضوح وسهولة القراءة، ويبدو من خلال الورق أنها نسخة حديثة فليس فيها خروم ولا تآكل للحواف. رمزت لها بالحرف "ب" واعتمدت عليها في قراءة ما غمض من النسخة الأولى.

4. منهج التّحقيق وتوثيق نسبة الرسالة لعبد الله الثيروي:

اعتمدت في إخراج نصّ المخطوطة على النسخة "أ" لتمامها وقرب سنة نسخها من سنة وفاة المؤلّف، واستعنّت بالنسخة "ب" في القراءة وفكّ ما غمض من النّصّ. فنقلت النّصّ حسب الإملاء الحديث، واستعملت علامات التّرقيم وفكّرت النّصّ مستعينا بالعناوين التي ضبطها المؤلّف لتسهيل قراءة النّصّ وفهمه للقارئ. وخرّجت الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة، كما وقفت على تعريف الأعلام الغامضة، وعدت إلى المصادر التي نقل منها المؤلّف وقارنت نصوصه عليها وأثبت الاختلافات ما كانت مفيدة. استعملت الأقواس () لتتمييز الكلمات التي يريد المؤلّف شرحها داخل النّصّ، وأمّا العارضتان [] فاستعملتهما لتحديد رقم ورقة المخطوط.

أما بخصوص نسبة الرسالة إلى عبد الله الثيروي فقد تم ذكر اسم المؤلف في النسختين بـ السيد عبد الله الثيروي، وزاد في نسخة المجموع برقم 5511: هذه الرسالة لأستاذنا المحقق عبد الله أفندي الثيروي المشهور بكاتب زاده. وهي عبارة كتبت على الهامش مع علامة التصحيح. كما نسبت إليه الرسالة في "الفهرس الشامل للتراث علوم القرآن، مخطوطات التفسير، وفي فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم، مركز الدراسات القرآنية، اعتماداً على نسخة جامعة برنستون. فنسبة النسخة ثابتة لعبد الله الثيروي ولم أقف على نسبتها لغيره.

ولم أمر على إشكالات كثيرة خلال التحقيق. ومن ذلك استعمال ضمير المثني الغائب (وأما عندهما) دون ذكر عائده، أو غموضه. فقد يكون في النص سقطاً، أو بتر في الأوراق وهذا مستبعد، والأول أقرب.

5- موضوع الرسالة وأسلوبها:

موضوع الرسالة مشار إليه في عنوانها وهو "أبحاث متعلقة بإننا أنزلناه" وهي شطر من الآية الأولى من سورة القدر. ومجموع الأبحاث التي عالجه المؤلف كانت بين النحو والكلام والبالغة. فهو يريد أن يبرز قوة أسلوب القرآن الكريم ودقته في إبلاغ معانيه رغم وجود طرق متعددة لذلك، فيربط بين ألفاظ الآية وأسلوبها من جهة والمباحث الكلامية التي شاعت في عهده، والمعروفة في مباحث علم الكلام.

وأسلوب الكاتب كان مباشراً، لا أدبية فيه نظراً إلى موضوع الرسالة، ومن الجهة العلمية فقد جمع في رسالته عدة فنون مما أضفى تعقيداً على لغته التي تحتاج إلى معرفة مصطلحات تلك الفنون، وحسن التعامل معها، كي لا يحصل إثر ذلك التباس أو غموض.

6- مصادر الرسالة.

حجم الرسالة ودقة موضوعها قضى بأن لا يستعمل المؤلف مصادر ولا مراجع كثيرة. ومن تلك المصادر التي صرح بها إضافة إلى القرآن الكريم، والصحيحين:

- شرح رضي الدين الأسترباذي على الكافية.
- بداية المجتهد، ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد الشهير بابن رشد الحفيد.
- شرح على طوابع الأنوار من مطالع الأنظار، عبد الله الثيروي.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي.
- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي.

7-تحقيق نصّ الرسالة:

[1و] هذه الرسالة لأستاذنا المحقق عبد الله أفندي الثيروي المشهور بكاتب زاده

بسم الله الرحمن الرحيم

قال السيد عبد الله الثيروي: هذه أبحاث متعلّقة بـ "إنا أنزلناه"⁴

أصله: نحن أنزلناه. لما أريد تأكيد الإنزال مع تخصيصه بذاته بدّل (نحن) بـ (نا) فأدخل عليه (إنّ) فصار (إننا) ثم حذف إحدى النونات فصار (إنّا). وقد يستعمل بلا حذف نحو: "ربّنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا"⁵. [إلى آخره].⁶

وفي التعبير عن الواحد بصيغة الجمع تأكيداً لإنزاله. وتوضيح ذلك: اعلم أنّ التثنية والجمع: ما يكون اللفظ واحداً ومسمّاه متعدّداً، نحو: زيدان وزيدون. والمكسر: ما يكون اللفظ واحداً ومسمّاه واحداً نحو: زيد وعمرو ضربا. زيد وعمر وبكر ضربوا. فإنّ الألف واحد والواو واحد والضرب واحد؛ لأنّ تعدّد الأعراض اعتباري غير حقيقي.

وبالجملة إن كان المسمّى متعدّداً فهو تثنية وجمع، وإلا فهو مكسر. (ضرباً) و(ضربوا) تثنية وجمع بالنظر إلى الفاعل، ومكسر بالنظر إلى الفعل.

ولذا جعل النحويون التثنية والجمع من خواصّ الاسم. ويقوي هذا كون التذكير والتأنيث في خواصّ الاسم بالاتّفاق؛ وذلك لأنّ التذكير والتأنيث يعرضان الجوهر لا العرض. ولذا قال نجم الأئمة⁷: التذكير والتأنيث والتثنية والجمع في (ضرب، ضربت، ضرباً ضربوا)، موضوع في غير موضعه.⁸

⁴ سورة يوسف: 2.

⁵ سورة آل عمران: 193.

في "ب": ربنا إننا بما أنزلت. والتصحيح من "ب".

⁶ زيادة في "ب".

⁷ نجم الأئمة لقب للرضي الاسترأبادي محمد بن الحسن، له: شرح الكافية، وشرح شافية ابن الحاجب في التصريف. ت: 686هـ.

بغية الوعاة، 567/1.

⁸ شرح الرضي على الكافية، الأسترأبادي، 49/1.

أو نقول: إِنَّ التَّنْيَةَ والجمعَ إِنَّمَا يعرضان على لفظِ يدلّ ذلك اللَّفْظُ على معنَى في نفسه، وعلى ذاتِ بالمطابقة. والحرفُ لا يدلّ على معنَى في نفسه، فلا يثنى ولا يُجمع.

والفعل وإن دَلَّ على معنى في نفسه، وعلى ذاتِ بنسبته لكنّ دلالتَهُ على الذاتِ بالتّضمّن لا بالمطابقة. فلأجل ذلك لا يثنى الفعل كالحَرْفِ.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الفعلَ قد يثنى ويجمع للفاعل وهو الأكثر. وقد يثنى الفاعل ويجمع لأجل الفعل، ك(أنزلناه) وأمثاله، و"رَبِّ ارْجِعُون"⁹، و"أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ"¹⁰، و(قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ).¹¹

أصله: أنزلت أنزلت أنزلت. أرْجِعْني أرْجِعْني أرْجِعْني. أَلْقِ أَلْقِ. قِفْ قِفْ. اكتفى بفعلٍ واحدٍ، واستتر الضّمائر فيه فصار: أنزلنا، ارْجِعُون، أَلْقِيَا، قِفَا. فيكون جمع (أنزلنا) لِمُتَقَوِّية الإنزال، فَإِنَّ الفعلَ إذا صدرَ مِنَ الفاعلِ مرارا يكون أقوى لأنَّ أصله: أنزلت أنزلت أنزلت، اكتفى بفعلٍ واحدٍ، واستتر الضّمائر فيه فصار: (أنزلنا).

فائدة هذه التّقريرات على قواعد أهل العربيّة:

وإذا تكلمنا على قواعد أهل الحكمة نقول: إِنَّ الفعلَ بمادّته يدلّ على الحدث، وهو أمرٌ كُلِّي يجوزُ تحقّقه في ذوات متعدّدة، فيجوزُ تثنيته وجمعه، ويلزمُ من هذا كون التّثنية والجمع للفعل والفاعل معاً لا للفعل فقط، وإلا يلزم اجتماع المثلّين، وقد بيّن في الحكمة بطلانهُ، ولا للفاعل فقط وإلا يلزم قيام العرض الواحد¹². وقد بيّن في الحكمة بطلانهُ أيضاً. فيكون تثنية الفعل وجمعه للفعل والفاعل معاً.

وهذا الاختلاف بين أهل العربيّة وأهل الحكمة يبتنى على كون تعدّد الأعراض حقيقياً عند أهل الحكمة، واعتبارياً عند أهل العربيّة.

⁹ سورة المومنون: 99.

¹⁰ سورة ق: 24.

¹¹ صدر بيت من معلّقة امرئ القيس عجزه:

بِسْفْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْملِ

ديوان امرؤ القيس، ص 8.

¹² كلمة لم أتبيّها.

ويتفرّع من هذا الاختلاف كون أسامي العلوم من قبيلِ أعلام الأجناس عند أهل الحكمة، ومن قبيل أعلام الأشخاص عند أهل العربية. ويكون قضية الفن الأول علم المعاني قضية مهمة عندنا أهل الحكمة، وقضية شخصية عند أهل العربية. وله ثمرات أخر، تدبر تعرفها.

والحقّ عندي قول أهل العربية. فإنّ من سعى ولدهُ محمدا لا يتعدّد اسمه بتعدّد ذكره ولو ألف مرّة، عند أهل العربية. وأمّا على قول أهل الحكمة يتعدّد اسمه بتعدّد ذكره، وهذا بشهادة العرف.

المبحث الثاني: (نزل) لازم قال الله تعالى: "نزل به الروح الأمين"¹³. و(أنزل) متعدّد. قال إمامنا الأعظم¹⁴: همزة (أفعل) للتعدية. يوهّم كلامه أنّ هذه الهمزة من حروف المعاني، وهي الحروف التي وضعها الواضع بإزاء المعاني كما وضع الباء للإصاق، و(هل) للاستفهام وأمثالهما، وليس كذلك. بل الهمزة من حروف المباني، وهي الحروف التي يتركّب الكلمات منها، وليس لها [1ظ] وضع بإزاء المعاني كالزّاء والياء والدالّ في (زيد) و(يزيد).

فإن قلت: لم نسبها الإمام إلى المعنى مع كونها من حروف المباني؟

قلت: نسبها إلى المعنى مع أنّ الواضع لم يضعها للتعدية لإحداثها التعدية في فعلها، وأنّه ليس زيادتها لمجرّد الإلحاق كواو (حوقل) وياء (شيطن). فعلم من إضافتها إلى التعدية أنّها تحدث التعدية في فعلها.

فإن قلت: إنّ الزيادة للإلحاق قد تحدث معنى في فعله، ألا يرى أنّه يقال: حقل الزّرع إذا تشعب أوراقه قبل أن يغلظ سوقه، وإذا غلظ سوقه يقال: حوّل الزّرع.

وكذا يُقال: (شطن) إذا بعد، وإذا كان أبعد يقال: (شيطن) والشيطان منه.

فعلم منهما ومن أمثالهما أنّ الزيادة للإلحاق قد تحدث معنى في فعله. قلت: نعم، إنّ الزيادة للإلحاق قد تحدث معنى في فعله لكنّه غير مطّرد في إحداثه.

¹³ سورة الشعراء: 193.

¹⁴ الإمام الأعظم: لم أقف على المقصود، فهي صفة مهمة.

وأما همزة (أفعل) فمطرّدة في إحداث التّعدية، فكان اطراد إحداثها مجوّزا لإضافتها إلى المعنى.

فإن قلت: يقتضي كلماتك أنّ همزة (استفعل) وسينّه وتاءه، وكذا همزة (أفعل) و(افتعل) وتاءه كلّها من حروف المباني، فلمَ أسند الإمام الأعظم إحداث المعنى إلى السين، والمطاوعة إلى التّاء؟

قلت: نعم. لكن إسناد المعنى إلى السين والتّاء لكونيهما أكبر من أخواتهما.

وقد حقّقنا هذا في قوله تعالى: "ربّنا إنّك من تدخل النّار فقد أخزيته"¹⁵.

ولمّا كثر المنكرون كون القرآن كلام الرّحمن أكّد سبحانه كونه كلامه بثلاث توكيدات. حيث قال بعضهم: إنّّه كلام كاهن. وقال بعضهم: كلام شاعر. وقال بعضهم: كلام ساحر.

وأوّل التّوكيدات: تقديم المسند إليه، فإنّه لمّا كان (نا) مبتدأ يصرف إلى نفسه ما وجد بعده، فيحصل بينهما ارتباط. ثمّ إذا كان ما بعده مشتملا على ضمير المبتدأ يوجد بينهما ارتباط آخر، فيقوي الحكم. وزيادة (إنّ) لتحقيق هذا الحكم. وتكرير فعل الإنزال بجمع الفاعل مع وحدته يحدث قوّة أخرى لكون القرآن من قبل الرّحمن.

فإن قيل: الإنزال تحريك الشّيء من علوّ إلى سفلى، وهو محمّد هنا لأنّ المنزل إمّا الكلام اللَّفْظي أو الكلام النَّفْسي. أمّا الكلام النَّفْسي فهو صفة ذاتيّة لا يمكن انفكاكها من ذاته تعالى.

وأما الكلام اللَّفْظي فهو عرض؛ لأنّه من مقولة الكيف، وقد بيّن في الحكمة أنّ العرض لا ينتقل من محلّ إلى محلّ.

والجواب: أنّ (أنزلناه) مجازٌ بطريق إطلاق اسم الحال على المحلّ. بيانه: أنّه تعالى لمّا أنزل جبرائيل وهو حامل للقرآن، فنزل جبرائيل بأمره تعالى من السّماء إلى الأرض، فقد نزل القرآن القائم به تبعاً له. فيكون من قبيل ذكر الحال، أعني القرآن، وإرادة المحلّ، أعني جبرائيل.

¹⁵ سورة آل عمران: 192.

لم أستطع تحديد المؤلّف الذي ذكر فيه ذلك. ويضاف هذا إلى مؤلّفاتِه، فليس معقولاً أن تكون في حاشيته على تفسير البيضاوي التي كانت على (جزء عم) كما مرّ.

والنَّكْتة كون الحقِّ هو الحالّ، لا المحلّ. فيكون المعنى: إنا أنزلنا جبرائيل الحامل للقرآن في ليلة القدر. والحقّ من إنزال جبرائيل إنزال كلامه سبحانه.

فإن قلت: المجاز خلف عن الحقيقة، ومن شرط الخلفيّة إمكان الأصل، أعني إمكان المعنى الحقيقي، وهو غير ممكن هنا؛ لامتناع التّزول في حقّه تعالى. فلا يصحُّ المجاز.

فإن قلت: لا يمتنع التّزول في حقّه تعالى لقوله عليه السّلام: "إذا مضى شطرُ اللَّيْلِ أو ثلثاهُ ينزلُ الله إلى السّماء الدّنيا، فيقول: هل من سائل فيُعْطى، هل من مستغفر فيُغفر له، هل من داع فيُستجاب له. حتّى ينفجر الصُّبح"¹⁶.

قلت: هذا الحديث في المتشابهات، ك"الرّحمن على العرش استوى"¹⁷ فلا يردّ علينا.

والجواب: أنّ المراد من إمكان المعنى الحقيقي إمكانه من حيث العربيّة. و(أنزلنا) صحيح من حيث العربيّة، فيصحُّ المجاز.

فإن قلت: نعم، المراد من إمكان المعنى الحقيقي إمكانه من حيث العربيّة، وأنّ (أنزلنا) صحيح من حيث العربيّة، لكن هذا عند أبي حنيفة. وأمّا عندهما¹⁸ فإمكان المعنى الحقيقي معتبر من حيث الحكم، والحكم ههنا ممتنع؛ إذ لا يمكن التّزول في حقّه تعالى، فلا يصحّ هذا المجاز عندهما.

قلت: مرادهما من إمكان المعنى الحقيقي إمكانه نظراً إلى ذاته، وامتناعه من حيث البرهان أو الخارج لا يُنافيه، وإلا يلزم أن لا يوجد المجاز عندهما أصلاً؛ لاتّفاق العلماء أنّه لا يُصار إلى المجاز ما أمكن الحقيقة. وذلك لأنه لا يمكن أن يكون الحالّ محلاً، ولا المحلّ حالاً، ولا السّبب مسبباً، ولا المسبّب سبباً، ولا الرّجل أسداً. وعلى هذا [2و] فظهر من جوابنا هذا أنّ هذا المجاز جائز عندهما، كما جاز عند أبي حنيفة.

¹⁶ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب التّرجيب في الدعاء، 522/1، 758.

¹⁷ سورة طه: 5.

¹⁸ لم أستطع تحديد عائد الضّمير، ويستبعد أن يكون أهل العربيّة وأهل الحكمة: لأنّ العائد عليهما يكون جمعا.

فائدة: إذا قال الرَّجُلُ لعبدهِ الذي هو أكبرُ مِنْهُ سِنًا: هذا ابني، يعتق عند أبي حنيفة¹⁹؛ لصحّة (هذا ابني) من حيثُ العربيّة. وذلك لأنّ هذا: مبتدأ، وابني: خبر.

وعندهما لا يعتق بل هو كلام لغو لاستحالة المعنى الحقيقي، وهو أن يكون الأكبر مخلوقاً من نطفة الأصغر. ولو حلف قائلاً: والله لأُمسّنَ السّماءَ، يجب الكفّارة عند أبي حنيفة وعندهما لأنّ البرّ ممكن من حيثُ الذات وقد وقّع في حقّ نبيّنا ليلة المعراج فينعقد اليمين، ويجب الكفّارة.

فإن قلت: إذا كان التّزول حقيقةً لجبرائيل ينبغي أن يسند الإنزال إليه كما في قوله تعالى: "نزل به الرّوح الأمين"²⁰.

قلت: نعم، لكن المصنف²¹ أجاب عنه بقوله: "كما عظّمه بأنّ أسند إنزاله إليه"²²، أي إلى ذاته. يعني أنّ إسناد الإنزال إلى ذاته مع أنّ المُنزّل حقيقة هو جبرائيل لتفخيم القرآن وتعظيمه.

ولنا هنا كلام على قول أهل التّصوّف، وهو أنّهم يقولون إنّ الله إذا أراد إنزال آياتٍ يوحّيها إلى قلبه عليه السّلام أولاً، ثمّ ينزلها جبرائيل ولو لم ينزلها لقرأها صلّى الله عليه وسلّم، حتّى كان عليه السّلام في بعض الأوقات يسبّحُ جبرائيل بالقراءة فنزل: "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيّه"²³.

قال إسماعيل الحقيّ²⁴: أن يظهر العلوم في القلوب، ألا ترى قوله تعالى: "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيّه"²⁵.

¹⁹ بداية المجتهد، 4/155.

²⁰ سورة الشعراء: 193.

²¹ يعني بالمصنّف: البيضاوي، عبد الله بن عمر.

²² أنوار التنزيل، 5/327. وفيه: نزله.

²³ سورة طه: 114.

²⁴ إسماعيل حقي بن مصطفى البروسي: متصوف مفسر. تركي مستعرب سكن القسطنطينية، من أتباع الطريقة (الخلوتية) مات في بروسة 1127هـ. له كتب عربية وتركيبية منها: روح البيان في تفسير القرآن، والرسالة الخليلية. الأعلام، 313/1.

²⁵ سورة طه: 114.

فإنَّ عجلتهُ بهِ هو سبقُهُ جبرائيل. إذا كان يأخذ القرآن من لوحٍ قلبه، وجبرائيل من بيتِ العِزةِ في سماء الدُّنيا. فكان القرآن أقرب إلى أخذِهِ²⁶. انتهى.

أقول: وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: "لا تحرك به لسانك لتعجل به" لا تسبق بقراءة ما أوحى إليك على قراءة جبرائيل، ليُطابق قراءتهُ بما أوحى إليك. وذلك ليتقن عليه السَّلام حيلة الشَّيْطان في "يسلك من بين يديه ومن خلفه رَصداً"²⁷.

فعلى هذا يكون: (أنزلنا) مجازاً عن (أوحينا) والله أعلم سبحانه وتعالى.

فائدة: وفي نزول القرآن اختلاف. قال بعضهم: إنَّ جبرائيل يأخذ المعنى من الله تعالى، فيلقيه إلى قلبه عليه السَّلام، ثمَّ النَّبِيُّ عليه السَّلام يقرأه بلغة العرب. ولذا قيل: لو قرأ القرآن في الصَّلَاة بغير العربيَّة جاز. واستدلُّوا على هذا بقوله تعالى: إنَّ هذا لفي الصَّحْفِ الأوَّلِ صحف إبراهيم وموسى²⁸. وهذا أضعف الاحتمالات.

وقال بعضهم: إنَّ جبرائيل يأخذ المعنى من الله تعالى ثمَّ يقرأه على النَّبِيِّ عليه السَّلام بلغة العرب. وهذا الاحتمال ضعيفٌ أيضاً.

ولهذين الاحتمالين محذورات كثيرةٌ لا نطول الكلامَ بذكرها.

والاحتمال الثَّالث وهو الأصحَّ أنَّ جبرائيل يأخذ المعنى واللفظَ من الله تعالى ثمَّ يقرأها على النَّبِيِّ عليه السَّلام.

وعلى هذا القول يكون المرادُ من المعنى النَّفْسي هو اللفظُ والمعنى.

فائدة: قد حرَّزنا في شرحنا على طوابع المصنَّف²⁹ في البحث عن كلامه سبحانه.

اعلم أنَّ ههنا قياسين: الأوَّل كلام الله صفة له، وكلَّ صفة له قديم، ينتج كلام الله قديم.

²⁶ لم أقف على النَّصِّ في تفسير إسماعيل حقي "تفسير روح البيان". ربَّما يكون منقولاً من كتابه: "الرسالة الخليلية".

²⁷ سورة الجن: 27.

²⁸ سورة الأعلى: 18-19.

²⁹ يقصد طوابع الأنوار من مطالع الأنظار لناصر الدين البيضاوي.

والأشاعرة³⁰ قائلون بصحة هذا القياس. والمعتزلة³¹ منعوا صغراه، والكرامية³² منعوا كبراه.³³

والقياس الثاني: كلام الله مؤلف من حروف مرتبة، والمؤلف من حروف مرتبة حادث. ينتج كلام الله حادث. والحشوية³⁴ قائلون بصحة هذا القياس، والأشاعرة منعوا صغراه، والحنابلة كبراه.³⁵

قالوا: لما أثبت الأشعري الكلام النفسي جعل الكلام صفة لله تعالى.

والحق غير هذا؛ لأن الألفاظ قديمة أيضا عند الأشعري. وذلك لأن مراده من الكلام النفسي ما يشمل اللفظ والمعنى. وتحقيق هذا أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ، وأخرى على القائم بالغير. والشَّيخ لما قال هو المعنى النفسي فهم أصحابه أن مراده هو مدلول اللفظ، وليس كذلك. بل مراده من المعنى هو القائم بالغير فيكون الكلام النفسي شاملا للفظ ومعناه تدبر، ويرد على هذا أسولة³⁶ لا يمكن الجواب عنها.

والحق أن المراد من كلام الله تعالى هو مبدأ الكلام النفسي للبيت: [الكامل]

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنَّما جعل اللسان على الفؤادِ دليلاً³⁷

وهو صفة يتمكّن بها من نظم الكلمات وترتيبها على الوجه الذي ينطبق على الحق. وهذه الصفة ضدّ الخرس. انتهى ما حررنا فيه.

تمّت الرسالة بعونه تعالى.

³⁰ الأشاعرة: أصحاب أبي الحسن الأشعري ت: 324هـ، من كتبه مقالات الإسلاميين. ينظر: الحفني، ع. (1993). موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، ص 50.

³¹ المعتزلة: يسمون أصحاب العدل والتوحيد، أصحاب واصل بن عطاء ت: 131هـ تلميذ الحسن البصري، وإليه ينسبون، وله آراء في علم الكلام. موسوعة الفرق، ص 358.

³² أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني، ت: 255هـ، وإليه ينسبون، وله آراء في علم الكلام. موسوعة الفرق، ص 327.

³³ صغراه وكبراه: مصطلحان من علم المنطق. في القياس الجملي الذي يتكون من مقدمتين تشتركان في حدّ يسمى الأوسط، وتنفرد إحداهما بحدّ يسمى الأصغر، وهو موضوع المطلوب وتسمى لذلك بالصغرى، والثانية بالحدّ الأكبر وهو محمول المطلوب، ولذلك تسمى بالكبرى. موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، ص 726.

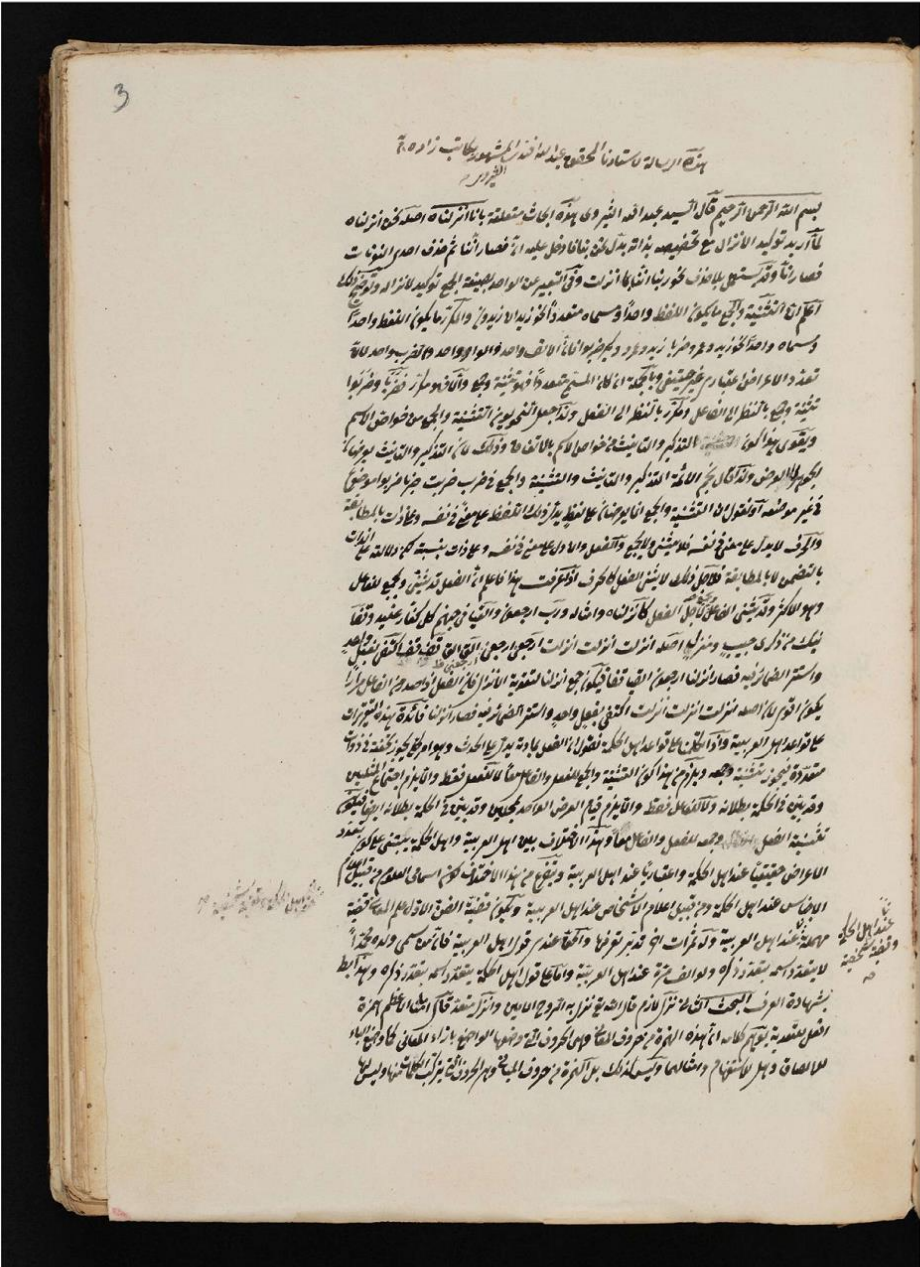
³⁴ الحشوية: قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره ردهم الحسن البصري إلى حشا الحلقة فسموا بذلك. موسوعة الفرق، ص 186.

³⁵ الحنابلة: أتباع أحمد بن حنبل، ت: 241هـ، وإليه ينسبون، له آراء في الفقه وفي علم الكلام. موسوعة الفرق، ص 194.

³⁶ هكذا في الأصل، وهو جمع غريب.

³⁷ البيت للأختل، غياث بن غوث بن الصلت. ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، ص 52.

الشكل 1: الورقة الأولى للنسخة أ



المصدر: ظ بمكتبة جامعة برنستون، 5511

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قال السيد عبد الله الشيرازي هذه البحاث متعلقة بأننا أنزلناه
 أصله نحن أنزلنا لما أريد تأكيد لأنزال مع تخصيصه بذاته
 بدل نحن بنا فادخل عليه إن فصار أننا ثم حذف إحدى
 النونات فصار أنا وقد يستعمل بلا حذف نحو ربنا أننا
 سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن امنوا بربكم فامثالا إلى آخره
 وفي التعبير عن الواحد بصيغة الجمع تأكيد لأنزله وتوضيح
 ذلك اعلم أن التثنية والجمع ما يكون اللفظ واحداً ومسماه
 متعدداً نحو زيدان وزيدون والمكرر ما يكون اللفظ واحداً
 ومسماه واحداً نحو زيد وعمر وضرباً زيد وعمر ووبكر وضربوا
 فإن الألف واحد والواو واحد والضرب واحد لأن تعدد
 الأعراض اعتباراً في غير حقيقته وبالجملة إن التثنية متعدداً
 فهو تثنية وجمع والآفهو مكرر فضرباً وضربوا تثنية
 وجمع بالنظر إلى القاعده ومكرر بالنظر إلى الفعل ولذا جعل
 التثنيون التثنية والجمع من خواص الاسم بالاتفاق و
 ذلك لأن التذكير والتأنيث يعرضان الجوهر لا العرض ولذا
 قال نجم الأئمة التذكير والتأنيث والتثنية والجمع في ضرب
 ضرب

8- خاتمة:

في نهاية هذه الدراسة التي تناولت رسالة "أبحاث متعلقة بإنزالنا" لعبد الله الثيروي تقديمًا وتحقيقًا يمكن تسجيل النقاط الآتية كنتائج وتوصيات:

لم تتعرض كتب التراجم إلى تعريف عبد الله الثيروي تعريفًا مفصلاً، وقد يعود هذا إلى العصر والمكان الذي نشأ فيه، كما أنه لم يكن من المكثرين في التأليف.

أغلب مؤلفات عبد الله الثيروي غير منشورة وغير محققة.

تناول عبد الله الثيروي في رسالة "أبحاث متعلقة بإنزالنا" موضوعات عدّة رغبة منه ببيان إعجاز القرآن وحسن بيانه.

استعمل المؤلف علوم النحو والبلاغة والبيان والكلام في دراسة الآية من سورة القدر.

لم تكن الرسالة مفردة بين مؤلفات عبد الله الثيروي إذ كان له مؤلفات أخرى تتعلّق بالقرآن الكريم وتفسيره.

وقفت في الرسالة على مؤلف لم يذكر في ترجمة المؤلف، وهو "شرح على طوابع الأنوار من مطالع الأنظار"، لناصر الدين البيضاوي، صاحب التفسير المعروف.

لم أتوصّل خلال جمع النسخ إلى نسخة المؤلف، ولم أقف على من ذكرها، والنسخة التي اتخذتها أمّا مقابلة على أصل قد يكون هو أصل المؤلف.

توصي الدراسة بضرورة البحث عن مؤلفات عبد الله الثيروي وتحقيقها ونشرها للتعرف أكثر على آراء الكاتب وأفكاره.

قائمة المراجع:

- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1979.
- مؤسسة آل البيت، الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه، ج2، الأردن، 1989.
- مركز الدراسات القرآنية، فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1424هـ.
- ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط4، 1984م.
- مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1955.
- محمد بن أحمد الشهير بابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاهرة، دار الحديث، 2004.
- خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002.
- إسماعيل حقي البروسي، تفسير روح البيان، الطبعة البولاقية الأولى، 1848م.
- ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إعداد: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، 1998.
- فريد جبر وآخرون، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996.
- جمال الدين بن يوسف، ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع، 2004.
- رضي الدين الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، تح: يوسف حسن عمر، بنغازي، جامعة قاريونس، ط2، 1996م.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008م.
- الحفني، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشد، 1993م.